حاول الزعماء الاسرائيليون التغني بديمقراطيتهم.

وكان تيودور هرتسل، الذي يعتبر فيلسوف الحركة الصهيونية، اعلن عن احتقاره للديمقراطية في يومياته، وكتب ان «الديمقراطية هراء سياسي لا يصدر الا من جمهور الرعاع في صورة ثورة». كما هاجمها بعنف، وقال ان «الاضواء التي تقدمها الديمقراطية كاذبة وخيالية، كثيراً ما تختبىء وراء شعاعها امور لا تلبث ان تؤدي الى فضائح؛ وان من سيئات الديمقراطية كثرة الالحاح على الاعلان؛ وهذا النوع من الاعلان يفقد الاحترام الذي هو ضروري للحكومة». واعلن هرتسل صراحة: «انا ضد الديمقراطية. ان أمم الوقت الحاضر لا تلائمها الديمقراطية في الحكم. وانا اعتقد بأنها ستزداد عدم ملائمة لها، يوماً بعد يوم». وعارض الزعيم الصهيوني الاشتراكية كمعارضته للديمقراطية[٢٨]. كما طالب حاييم وايزمان، اول رئيس لدولة اسرائيل، بحجب الديمقراطية عن العرب لاعتقاده بأنها ستصبح مهزلة، اذا سمح للعرب بممارسة الديمقراطية كاليهود[٢٩].

ولا نعتقد بأن أي نظام قائم على ممارسة العنصرية والتمييز العنصري هو نظام ديمقراطي حقيقي. ولهذا، فان الديمقراطية والصهيونية خطان لا يلتقيان أبداً، مهما حاول قادة اسرائيل وحلفاؤهم اظهار اسرائيل بأنها البلد الديمقراطي الوحيد في المنطقة. ويربط سفاح مجازر صبرا وشاتيلا، أرييل شارون، بين ديمقراطية اسرائيل وديمقراطية الولايات المتحدة. وفي مقالة له نشرها في صحيفة «الوول ستريت جورنال» الاميركية، طالب بالدعم الاميركي للمحافظة على ديمقراطية اسرائيل، لأنها «كانت، وستظل، ديمقراطية؛ وعلى الولايات المتحدة ان تواصل دعم دولة اسرائيل باعتبارها الدولة الديمقراطية الرائدة الوحيدة في الشرق الاوسط»[٣٠].

ويبدو ان الديمقراطية التي تريدها اسرائيل هي ديمقراطية يهودية فقط، أي للاغلبية، وليس للعرب الذين يمثلون الاقلية الآن. ومع كل هذه الممارسات العنصرية ضد العرب، وحرمانهم من حقوقهم السياسية، الا ان الوعي السياسي يزداد يوماً عن يوم عندهم. ولم تنجح السلطات الاسرائيلية في منع العرب من اعلان معارضتهم لسياسة مصادرة الاراضي العربية التي تنتهجها اسرائيل، وخرجت الجماهير في تظاهرات ضاخبة في «يوم الارض» الموافق ٣٠ آذار (مارس) ١٩٧٦، وقاموا باضراب شامل في المناطق العربية، خاصة في قرى سخنين وعرابة ودير حنا، في الجليل. واستشهد، في ذلك اليوم، ستة، وجرح عشرات من المتظاهرين العرب برصاص قوات الاحتلال الاسرائيلية. منذ ذلك الحين، والجماهير العربية تحتفل، سنوياً، في هذه المناسبة الوطنية. وانتقد الصحفي اليهودي ايلي تابور، في صحيفة «هعولام هزيه»، موقف حكومته من العرب لاشتراكهم في «يوم الارض»، وكتب: «لم يحدث، أبداً، تفاهم بين العرب واليهود. ان الاعوام الماضية هي اعوام من السلب وسرقة الاملاك العربية المتروكة واعمال مصادرة واضطهاد قومي وتخلف اجتماعي واقتصادي. وهذه الاعوام هي بمثابة أرض خصبة تكفي للثورة؛ وليست هناك حاجة الى التحريض من اجل ذلك، لا من موسكو ولا من منظمة التحرير»[٣١].

كما يشارك العرب في جميع المناسبات القومية والعربية التي تحدث. وخلال حصار بيروت العام ١٩٨٢ من قبل الجيش الاسرائيلي، ومجازر صبرا وشاتيلا، سارت الجماهير العربية بتظاهرات احتجاج واستنكار للممارسات الاسرائيلية ضد اللبنانيين والفلسطينيين في لبنان. كما قامت بجمع التبرعات لمساعدة سكان المخيمات الفلسطينية في لبنان خلال حرب المخيمات. وأخيراً، عبروا عن تضامنهم مع الانتفاضة البطولية التي يقوم بها الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة